﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ١٣﴾ [البقرة: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

نُهوا عن الإفساد ودعـــوا إلى الإيمان؛ لأنَّ دفع المـفـاسـد مـقـدّم على جلب المصالح

لـمَّا بيَّنَ اللّه سبحانه حالَ المُنَافِقين إذَا دُعُوا إلى الصَّلاحِ العامِّ بِتَرْكِ الْإِفْسَادِ؛ بيَّنَ حَالَهُمْ إذَا دُعُوا إلى الصَّلَاحِ الخَاصِّ وهُوَ الْإِيمَانُ[1].

ولأنَّهُ لـمَّا نُهُوا عَنِ الْإِفْسَادِ في الأَرْضِ؛ أُمِروا بالإيمان؛ لأنَّ كمالَ حالِ الْإِنْسَانِ لا يَكون إلَّا بمَجْمُوعِ أَمْرَيْنِ:

أحدهما: تركُ مَا لا يَنْبَغِي، وذلكَ في قولِهِ قبلُ: ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

والآخر: فِعْلُ مَا يَنْبَغِي، وذلك في قوله: ﴿ءَامِنُواْ﴾[2].

وبُدِئَ بالأوَّلِ؛ لأنَّ دفعَ المَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المَصَالِحِ[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾: أصلُ هذه المادَّةِ -السِّين والفاء والهاء- دالٌّ على خِفَّة وسخافة[4]، ومنه وَصْفُ النِّساءِ والصِّبيانِ بالسَّفَهِ؛ لخفَّةِ عِلْمِهِم بموضعِ النَّفَقَةِ، ما لم يَرْشُدُوا، ويُقَال لكلٍّ مِنَ الجاهِلِ والأحمق: سَفِيهٌ[5]؛ لخِفَّة العلم والعَقْلِ فِيهِما.

ومِنْهُ لفظ ﴿ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾ أي: الجُهَّال، ضَعِيفو العقول[6].

ويَكُونُ السَّفَهُ في أُمُورِ الدُّنْيَا، كما قال سُبْحَانَه: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: 5]، وفي أمور الآخرة، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: 4][7].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/112.

(2) الرازيّ، التّفسير الكبير: 2/307، وابن عادل، اللُّباب: 1/359.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/54.

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سفه).

(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (سفه).

(6) الهرويّ، الغَرِيبَيْنِ: (سفه).

(7) الرّاغب، المفردات: (سفه)، ص: 414.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

وإذا أُمِرَ المُنَافِقُون بإيمانٍ كإيمانِ الصَّحابة ﷺ؛ وهُوَ المُشْتَمِلُ على القولِ والعَمَلِ والاعْتِقَادِ؛ رَدُّوا مُحْتَقِرِينَ مستهزِئِين: أَنُؤْمِنُ مثلَ ما آمَنَ ضِعافُ العقولِ وخِفَافُهَا؟! والواقعُ أنَّهمُ الحقيقُون بهَذَا الوصفِ الذي لَمَزُوا به غيرَهُمْ، ولكنَّهم قومٌ يَجْهَلُونَ[1].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِـ﴿وَإِذَا﴾:

الإشـــارةُ إلى وُجُـــوبِ الْأَمْـــرِ بِالْمَعْرُوفِ

جيءَ بـ (إِذَا) في قولِه سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ﴾؛ لِكَوْنِها دالَّةً على الجَزْمِ بِوُقُوعِ مَدْخُولِهَا، وفي ذلك إشارةٌ إلى وجُوبِ الْأَمْرِ بالمَعْرُوفِ - ومِنْهُ الْأَمْرُ بالْإِيمَانِ-، وأنَّ الواجبَ إيجادُهُ واقعًا.

بِنَاءُ الْفِعْلِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ لِقَصْدِ الشُّمُولِ:

إذا نصحهم أيّ ناصح يرفضون الانصياع

بُنِيَ الفعلُ ﴿قِيلَ﴾ لِمَا لَم يُسمَّ فاعِلُهُ؛ لإفادة العُمُوم[2]، قصدًا إلى تَفْظِيعِ حالِهم وتَشْنِيعِ أَمْرِهِم؛ فإنَّ ما هُم عَلَيْهِ مِنَ التَّرَدُّدِ بين الحقِّ في الظَّاهر والباطل في الباطنِ: أمرٌ ظاهِرُ الفسادِ لِكُلِّ ذي عَقْلٍ، حتَّى كأنَّ الجميعَ قال لَهُم: ﴿ءَامَنُواْ﴾ أي: آمِنُوا عَلَى وَجْهِ الإخلاصِ، وَموافقةِ الباطنِ الظَّاهرَ.

دلالة الأَمْرِ في ﴿ءَامِنُواْ﴾ من تمامِ النُّصْحِ:

الواجب يُنصح بامتثاله، ويُرشَد إلى إتيانه

فِعْلُ الأمر ﴿ءَامِنُواْ﴾ مِنْ قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ﴾ من تمام النُّصحِ والإرشادِ[3]، ولا يُنافي هذا وجوبَ الإيمانِ؛ فإنَّ المنصوحَ بالإيمان يجبُ عَلَيْهِ أَنْ يمتثِلَ الأمرَ؛ وما كان واجبًا يُنْصَحُ بامتثالِهِ ويُرشَدُ إلى إتيانِهِ.

(1) مكيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النِّهاية: 1/162، والماورديّ، النُّكت والعيون: 1/75-76، والسَّمعانيّ، تفسير القرآن: 1/50، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 3.

(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/132.

(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/46.

نِكَاتُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الْإِيمَانِ:

طلبُ فعلِ الإيمانِ في السُّلوكِ الظَّاهرِ دون استثناءٍ لأيِّ فردٍ من أفرادِه

حُذفَ متعلَّقُ الفعلِ ﴿ءَامِنُواْ﴾ وهو المُؤْمَنُ به؛ لأحد ثلاثِ نكاتٍ[1]:

أُولَاها: وضوحُ المُؤْمَنِ به؛ إذِ الإيمان لَهُ دلالة شرعيَّةٌ شائعَةٌ عند أهل الإسلام، بحيث إذا أُطْلِقَ انصرفَ إليه.

ثانيهَا: قصدُ العموم؛ إعمالًا لقاعدةِ أنَّ: حَذْفَ المعمول مُؤْذِنٌ بالعموم، والمعنى: آمِنُوا بجميع ما يجبُ الإيمانُ به شرعًا.

ثالثها: أَنَّ قوله: ﴿ءَامِنُواْ﴾ معناه: افْعَلُوا الإيمانَ.

والجَمْعُ بين هذه النِّكَاتِ مُمْكِن عند التَّأَمُّلِ؛ والنِّكات البلاغيَّةُ تَتَوَارَدُ ولَا تتزَاحَم، فيكون المعنى: افْعَلُوا الإيمانَ، وذلكَ بالإتيان بالإيمانِ المَشْهُورَةِ دِلالتُهُ الشَّائعَةِ أفرادهُ؛ وهِيَ كُلُّ ما فَرَضَ اللهُ تعالى على العبادِ الإيمانَ به.

نُكْتَةُ التَّشْبِيهِ في قوله تعالى: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾:

انعدامُ الإيمانِ عندَ المُنافِقِينَ؛ فطُلِبَ منهُمُ الإيمانُ بأقلِّ الوَاجِبِ

الكَافُ في قوله تعالى: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ يَحْتَمِلُ أن تَكُونَ لِلتَّعليل[2]، أي: لأجلِ أنَّ النَّاسَ الكُمَّلَ آمنُوا؛ فآمِنُوا أَنْتُمْ كذلك.

ويَحْتَمِلُ أَنْ تكونَ لِلتَّشْبيه وهُوَ أظهر؛ والمَعْنَى: آمِنُوا إيمانًا كإيمانِ النَّاسِ الكُمَّلِ، ومِنَ المَعْلُوم أَنَّ المشبَّهَ أقلُّ وضوحًا منَ المُشَبَّهِ به، ولا يكون في قُوَّتِه، فيكون الإيمانُ المطلوبُ مِنْهُمْ في قوله: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أقلَّ مِنَ الذي تلبَّسَ به كُمَّلُ النَّاسِ مِنَ الصَّحابة[3] ﷺ.

سِرُّ تَعْرِيفِ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بِاللَّامِ:

التَّعْريضُ بأَهْلِ النِّفَاقِ بِتَنْزِيلِهِمْ مَنْزِلَةَ مَنْ لا يَعقِلُ

اللَّامُ في (ٱلنَّاسُ) مِنْ قوله ﷻ: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ لِلْعَهْدِ، أي: كما آمن النَّاسُ المَعْرُوفُون لَدَيْكُم؛ مِنْ أَهْلِ اليَقِينِ والإيمَانِ الخَالِصِ[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/44، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 1/59.
(2) ابن جُزَيّ، التَّسهيل لعلوم التَّنزيل: 1/71.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/55.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 1/292.

ويَحْتَمِلُ أن تَكُونَ اللَّامُ لِلْجِنْسِ، والمعنى: آمِنُوا كما آمَنَ الكُمَّلُ في الْإِنْسَانِيَّةِ - حَمْلًا لَها عَلَى الكمَال-، أو أنَّ المؤمنين جُعلوا كأَنَّهم هُمُ النَّاسُ على الحقيقةِ - حَمْلًا لَهَا على مَعْنَى الحَصْرِ-، وَمَنْ عداهُم في حُكْم البهائم؛ لِكَوْنِهِمُ اشْتَرَكُوا معهَا في فُقْدَان التَّمْيِيز بين الحقِّ والباطل[1]، ومَآلُ هَذَيْنِ المَعْنَيَيْنِ وَاحِدٌ، "والمُرادُ بالنَّاسِ مَن عدا المخاطَبين، كَلِمَةٌ تَقُولها العربُ في الإغراءِ بالفعل والحثِّ عَلَيْهِ؛ لأنَّ شأنَ النُّفوس أن تُسرِع إلى التَّقليد والاقتداءِ بمن يسبِقُها في الأمر، فلذلكَ يأتُون بهَاتِهِ الكلمةِ في مقامِ الإغراءِ أو التَّسليةِ أو الائْتِساء"[2].

دلالة الاِسْتِفْهَامِ عَلَى الْإِنْكَارِ:

شِـــدَّةُ نُـفُـورِ الْمُـنَـافِـقِـينَ مِـنَ الْإِيمَانِ

الاِسْتِفْهَامُ في قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى: النَّفْي، أي: لا نُؤْمِنُ كَمَا آمَنُوا[3].

وعدُولُهم عَنِ الخَبَرِ - (لا نُؤمِنُ كما آمَن السفهاء)- إلى الاِسْتِفْهَام الإنكاريِّ: قَصَدُوا بِهِ التَّبرِّيَ مِنَ الإيمانِ بأبلغِ وَجْهٍ[4].

مَعْنَى اللَّامِ فِي ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ للعهدِ أوِ الجنسِ:

اللَّام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ لِلْعَهْدِ الذِّكْرِيِّ التقديريِّ[5]، ومُرَادُهُمْ بذلك: النَّاسُ الذينَ طُولِبُوا بإيمانٍ كإيمَانِهم، وهكَذَا كَمَا يُقَالُ لكَ: إنَّ زَيْدًا فَعَلَ كذا وكذَا بِكَ، فتقول: أَوَ قَد فَعَلَ السَّفيهُ؟![6].

ويَحْتَمِلُ أن تَكُونَ لِلْجِنْسِ، والنَّاسُ المَذْكُورُونَ قبلُ مُنْدَرِجُونَ فيهِ، بِناءً على زَعْمِهِمُ الفَاسِدِ[7].

وعلى كِلَا الاحْتِمَالَيْنِ؛ فَهُمْ مُسْتَهْزِئُون بالمؤمنين!

(1) الزَّمخشري، الكشَّاف: 1/64، والطِّيبي، فتوح الغيب: 2/191، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/132.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/287.
(3) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/162، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/132.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/287.
(5) الخفاجيّ، عناية القاضي: 1/336.
(6) الزَّمخشري، الكشَّاف: 1/64.
(7) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/47، والقِنَّوجي، فتح البيان: 1/94.

سِرُّ التأكيد بأكثر من مؤكّد:

تعـــددت المـــؤكـــدات في الجملة لإبطال تعريض المنافقين بالمؤمنين

أُكِّدَت جملةُ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ بـ (أَلَآ) الاستفتاحيَّة؛ لِمَا فِيهَا مِن معنَى التَّنبيه، والتَّنبيهُ إِنَّما يكون في غرائِبِ الأمور، وَوَجْهُ الغرابَةِ هُنَا: فقدانُهُم العلمَ[1]، و(إِنَّ)، وضميرِ الفَصْلِ (هُمُ)، واسميَّةِ الجملةِ؛ قصدًا إلى إبطال تعريضهم بالمؤمنين أبلغَ إبطالٍ.

حَذْفُ الْمَفْعُولِ لبيانِ سَفَهِ رَأْيِ الْمُنَافِقِينَ:

نفيُ أصل العلم عـن المنـافقين، وكفى بذلك ذمًّا

حُذف المعمولُ من قوله: ﴿لَّا يَعۡلَمُونَ﴾؛ وفي ذلك ثلاثةُ مَسَالِكَ[2]:

الأوَّل: أن يُقدَّرَ لِلْفِعْلِ مفعولٌ مُعيَّنٌ، والمعنى: ولكن لا يعلمون "مقدارَ مَا أُوتُوا من سَفَهِ الرَّأي، وما أُوتِي غَيْرُهم مِنْ حكمةِ الإيمان"[3].

الثاني: أن لا يُقدَّر لِلْفِعْل مفعولٌ معيَّنٌ؛ والقصدُ من ذلك العمومُ، أي: لا يعلمونَ شيئًا.

الثالث: أَنْ لا يُقدَّر له مفعولٌ أصلًا؛ تنزيلًا لِلْفِعْلِ المتعدِّي منزلة الفعل اللَّازِم، والمعنى: ولكن لا علمَ لَهُمْ أَصْلًا؛ وهذا أبلغُ في ذمِّهِمْ.

مُنَاسَبَةُ خَتْمِ هَذِهِ الْآيَةِ بِنَفْيِ الْعِلْمِ وَخَتْمِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا بِنَفْيِ الشُّعُورِ:

الـفـسـاد محـسـوس يـنـاسـبـه نـفـيُ الـشـعـور، والسّـفـهُ جهل يـنـاسـبـه نـفـيُ العلم

خُتِمَت الآيةُ التي قَبْلَ هذهِ بقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾؛ وخُتِمت هذه الآية بقولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾؛ لوجهين[4]:

أحدهما: أَنَّ إدراكَ كونِ المُؤْمِنِينَ على الحقِّ والمنافقين على الباطلِ أمرٌ يرجِعُ إلى الفِكْرِ، لكنَّ كونَ النِّفاق يُفضي إلى الفَسَادِ والْإِفْسَادِ في الأَرْضِ ضَرُورِيٌّ يَجْرِي مَجْرَى الأشياء المحسُوسَة،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/288.
(2) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 1/60، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/133.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/133.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/64-65، والرَّازيّ، التَّفسير الكبير: 2/308، والشّربينيّ، السّراج المنير: 1/25، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/133.

فأُوثِر في الأوَّل: نفيُ العلم، وفي الثَّاني: نفي الشُّعور؛ لأنَّ الشُّعور يُطْلَقُ على الإدراكِ بالحواسِّ[1].

والآخر: أنَّهُ ذُكِرَ السَّفَهُ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، والسَّفَهُ يُطْلَقُ على الجَهْلِ، فكان ذِكْرُ العلمِ أنسَبَ له؛ ليتحقَّقَ الطِّباقُ.

(1) وإذا حملنا الشُّعورَ على ما دقَّ مِنَ العلم؛ فإنَّ نفي العلمِ عَنْهُمْ بكونهم سُفَهاءَ في قوله: ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ دونَ ﴿لاَ يَشْعُرُونَ﴾؛ لأنَّ وَصْفَهم بالسَّفه ظاهرٌ، ليس ممَّا يَخْفَى حتى يكون العلمُ بِهِ شعورًا، ينظر: ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/288.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»